حلول

لم ينته[1] تمثيل هذه القصة البديعة التى أراد رئيس الوزراء أن يفكه الناس بها منذ عشرة أيام . وقد ينتهى هذا التمثيل اليوم ، وقد ينتهى غدا ، وقد يطول أمده أياما . وإذن فمن حق الناس أن يحمدوا لرئيس الوزارة هذه الفكاهة التى أراد أن يسليهم بها عما يطيف بهم من الهموم .

تلميح بالاستقالة ، ثم تصريح ، وتفكير فى الاستقالة ثم تصميم عليها ، ثم تحدّ وإنذار ، ثم تراجع واعتدال ، ثم تردد هو إلى العدول أقرب منه إلى المضى والتصميم . ولن يشرق صبح الغد ، ولن يقبل الليل حتى يكون رئيس الوزراء قد تقدم خطوة أو خطوات فألقى ستارا على هذا الاضطراب ، ورفع ستارا عن فصل جديد من فصول القصة .

على أننا نشك كل الشك فى أن يكون الأمر كله هزلا ، أو أن تكون القصة كلها فكاهة . وأكبر الظن أن وراء هذا الهزل جدا ،

---

(١) ٧ - ٩ - ١٩٣٣

وأن من دون الفكاهة أشياء أقل ما توصف به أنها عظيمة الخطر ، بعيدة الأثر فيما بقى لرئيس الوزراء من حياة سياسية قد تقصر وقد تطول .

ولعل الرسالة التى بعث بها مكاتب الديلى تلغراف إلى صحيفته قبل أن يترك الإسكندرية والتى أقلقت رئيس الوزراء ، وأخرجته من صمته ، ودفعته إلى أن يطلب الرحمة والإنصاف من الديلى تلغراف ، والتى أقامت الوزراء وأقعدتهم ، وملأت قلوب الأنصار هلعا ورعبا ، ودعت إلى إقامة الحفلات وإلقاء الخطب ، نقول لعل هذه الرسالة أن تكون أدلة نذير نبه رئيس الوزراء إلى أن الجو من حوله لم يبق صفوا ولا صحوا . فقد أكد مكاتب الديلى تلغراف فى رسالته تلك – نقلا عن مصدر موثوق به – أن الوزارة القائمة لا مقام لها فى مناصب الحكم ، وأن الحمق وحده هو الذى أخرج من هذه الوزارة رجالا لهم – فيما يقول مكاتب الديلى تلغراف أو مصدره الموثوق به – كفاية نادرة وتفوق عظيم .

فقد كان من الحق أن يعرف رئيس الوزراء حقيقة هذا المصدر الموثوق به الذى ألقى هذا الوحى إلى مكاتب الديلى تلغراف ، وكأن رئيس الوزراء قد عرف هذا المصدر فضاق به ، فإذا أضفت هذا إلى مالا بد منه من أن هذا المصدر لم يكن يكيد لرئيس الوزراء بالقول وحده ، وإنما كان يخاصمه ويقاومه بالعمل أيضا ، فيجدّ فى وقف أشياء كان رئيس الوزراء يحب أن تمضى ، وفى إمضاء أشياء كان رئيس الوزراء يحب أن تقف ، عرفت أن هذه القصة الفكاهية التى

تشهدها مصر ، ويشهدها العالم معها ليست لعبا كلها ، وإنما هى قصة ظاهرها اللعب والفكاهة وباطنها الجد المخيف .

وقد زعمت الصحف وكانت الأهرام فى مقدمتها أن رئيس الوزراء قد عرض مطالب ، وجعل قبولها شرطا لبقائه فى الحكم . وأخذ الناس يسألون عن هذه المطالب ، ويلتمسونها ويحاولون أن يعرفوا على من عرضت هذه المطالب ، لمن قدمت ؟ ولمن كان التحدى الذى أظهره رئيس الوزراء ؟ ولم يجب أحد فى صراحة على أسئلة الناس هذه ، ولكن الغموض أخذ ينجلى قليلا فتحدث الناس وتحدثت الصحف هنا وهناك بأن رئيس الوزراء ضيق ببعض زملائه ، وأنه يريد أمرين : أحدهما أن يخلص له أمر الحكم فلا يشاركه فيه أحد . والثانى أن يغير تأليف الوزارة ليخرج منها بعض الأشخاص ، وألح الناس وألحت الصحف فى هذا الحديث ، ثم أخذ رئيس الوزراء منذ أمس يظهر استعداده للعدول عن الاستقالة ، والنهوض بأعباء الحكم بعد أن كان مصرا على أن يلقيها عن كتفيه . فهل أجيب رئيس الوزراء إلى مطالبه هذه فكفت بعض الأيدى عن أن تعمل فى الحكم الذى يريد رئيس الوزراء أن يكون خالصا له ، لا يضايقه فيه أحد ؟ وأذِن لرئيس الوزراء فى أن يغير تأليف وزارته ليخرج منها الذين يضيق بهم من الزملاء .

هذه الصحف تتحدث اليوم بشىء عن حفلة الشاى التى أقيمت لرئيس الوزراء أمس ، فحضرها من حضرها ، وغاب عنها من غاب . وفى أحاديث الصحف وملاحظاتها تلميحات لا تحتاج إلى

شرح ولا إلى تفسير . وهذه الأنباء تصل – وقد نشر بعضها فى الصحف – بأن رئيس الوزراء قد يدخل فى وزارته قوما ليسوا منها ، ويخرج من وزارته قوما يعملون فيها . وإذن فقد أجيب رئيس الوزراء إلى ما كان يريد كله أو بعضه ، ولكن هذا كله أحاديث لا يظهر وجه الحق فيها إلا مساء اليوم أو صباح الغد . وقد شهدنا القصة عشرة أيام فليس يمنعنا أن نشهدها يوما أو بعض يوم ، على أن التفكير فى هذا كله ينتهى إلى نتيجتين اثنتين : الأولى أن الطريق السياسية الداخلية لم تبق سهلة ولا ممهدة أمام رئيس الوزراء منذ اليوم . فقد أخذ صدقى باشا يلقى ما لقيه غيره من الوزراء من هذه المرارة الممضة التى تشوب الحكم حين يبلغ أعقابه ، وينتهى إلى آخره . ولو نصح صدقى باشا لنفسه لاستقال ، لا إيثارا لصحته ، فقد يظهر أن الحكم آثر عنده من الصحة ، ولكن لسبب آخر يعرفه هو حق المعرفة . وهو أن الحكم لن يحلو له منذ اليوم ، وهو أن طريق الحكم لن تخلو من الصعاب والعقاب ، ومن الشوك المؤذى منذ اليوم .

والثانية أن كل هذا الضجيج والعجيج ، وكل هذه المداورات والمناورات ، وكل هذا الإقدام والإحجام ، إنما يدور حول أشخاص بأنفسهم يراد أن تبسط أيديهم فى الحكم ، أو أن تكف أيديهم عن الحكم قليلا أو كثيرا ، لا حول المصلحة الوطنية الكبرى . فسواء على مصر أبقى رئيس الوزراء يختلف إلى ديوانه ، أم لزم داره ، وسواء على مصر أأطلقت يد رئيس الوزراء فى الحكم إلى غير حد ، أم كفت يد رئيس الوزراء عن هذا الحكم بعض الشىء . وسواء على مصر أخلص الحكم لرئيس الوزراء وحده ، أو شاركه فى الحكم هذا

الموظف الكبير أو ذاك ، وسواء على مصر أكان زملاء رئيس الوزراء شعبيين أم اتحاديين أم مستقلين . كل هذا سواء على مصر لأن مصر تضيق بالسياسة التى رسمها رئيس الوزراء ومضى فى تنفيذها ، فجرت على مصر ما جرت من الشر ، وجنت على مصر ما جنت من المكروه .

ومصر لا يرضيها شيء من هذه الحلول ، أو من هذا اللعب الذى تنطلق به الألسنة ، وإنما الشيء الوحيد الذى تريده مصر ، ولن ترضى غيره ، هو أن تكون هى موضع التفكير ، وأن تكون هى موضوع كل حساب ، وأن يكون تغيير الوزارات وسيلة إلى إرضائها ، وتحقيق منافعها ، لا إلى إذلالها واستغلالها ، والتنافس حول الجاه والسلطان لمن يكونان ؟

ويظهر أن الساسة الذين يديرون بينهم أمور الحكم فى مصر لا يريدون أن يجاروا آمالهم وأمانيهم حتى يعجزوا عن هذه المجاراة ، بل يظهر أن هؤلاء الساسة الذين يديرون بينهم أمر الحكم فى مصر لم يرزقوا من التبصر والتوفيق مثل ما رزق الإنجليز الذين ينظرون إلى أمور السياسة فى مصر من بعيد أو قريب .

هؤلاء يغيرون مندوبهم السامى لأنهم يقدرون الظروف ويفهمونها ، ويعرفون قيمة الحقائق الواقعة ويريدون أن يلقوها بما ينبغى من الحذر والفطنة . وأولئك يمضون فى طريقهم لا يفكرون إلا فى أنفسهم ولا يقفون إلا عند ما يريدون أن يكون لهم من القوة والجاه . ومهما يكن من شيء فإن الأزمة الوزارية القائمة ليست إلا

موجة صغيرة من هذا الموج الذى يثيره النسيم على سطح البحيرة ، والذى لا يلبث أن يزول دون أن يغير شيئا .

فأما الأزمة الحقيقية التى ينبغى التفكير فيها ، والجد فى حلها ، فهى أبعد من ذلك مدى ، وأعمق غورا ، وأشد تعقيدا ، وأعسر من أن تحل بالتوفيق أو العجز عن التوفيق بين رئيس الوزراء وغيره من كبار الموظفين .

فليقم رئيس الوزراء ، أو ليستقل ، فإن إقامته لا تغير شيئا واستقالته لا تغير شيئا ، وستبين الأيام لرئيس الوزراء أن الأمر أشد عسرا مما يظن .